Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعاً(١)

وبيت البحترى :

وإنى وإن بلغتنى شرف الغنى وأعتقت من رق المطامع أخدعى

فإن لها فى هذين المكانين مالا يخفى من الحسن . ثم إنك تتأملها فى بيت أبى تمام :

يادهر قوم من أخدعيك فقد أضجججت هذا الأنام من خرقك(٢)

فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ماوجدت هناك من الروح والخفة والإيناس والبهجة .

ويمثل عبدالقاهر لذلك التلاؤم الذى يقوم عليه وحده وصف الكلمة بالجودة أو الرداءة بآية من كتاب الله تعالى وهى قوله « وقيل يأأرض ابلعى ماءك ، وياسماء أقلعى ، وغيض الماء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين » فإذا فكرت فى هذه الآية فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذى ترى وتسمع أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة ، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، وأن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية ، والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقريها إلى آخرها ، وأن الفضل ناتج مما بينها ، وحصل من مجموعها .

إذا شككت فتأمل : هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها ، وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه ، وهى فى مكانها من الآية ؟ قل « ابلعى » واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ماقبلها وإلى مابعدها ، وكذلك فاعتبر سائر مايليها ، وكيف بالشك فى ذلك ؟ ومعلوم أن مبدأ العظمة فى أن نوديت الأرض ؟ ثم أمرت ، ثم كان النداء بـ « يا » دون « أى » نحو يأيتها الأرض ، ثم إضافة الماء إلى الكاف ، دون أن يقال « أبلعى الماء » ، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها ، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم أن قيل « وغيض الماء » فجعل الفعل مبنيا للمفعول ، وتلك الصيغة تدل على أنه لم يغض إلا بأمر آمر ، وقدرة قادر . ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى « وقضى

---

(١) الأخدعان عرقان فى جانبى العنق قد خفيا وبطنا ، والليت صفحة العنق .

(٢) الخرق بالضم العنف ، وكذلك الحمق والجهل ، وضم الراء للشعر ، ويريد بتقويم الأخدعين إزالة الكبر والعنف ، لأنهم يقولون فى المتكبر العاتى « شديد الأخدعين » .